المرأة ودور التعليم النسوي الإسلامي

الدكتور محمد شقير

لا شك بمطلوبية العلم سواء للمرأة أو الرجل وإن كان مفهوم العلم في الرؤية الإسلامية يتسع يشمل تلك المعارف التي تربط بالجانب الأخروي والديني والغيبي بناءً على التصور الإسلامي لفلسفة الوجود وغاية التخلف ولذا هذه المعارف ترتبط بالمرأة والرجل لا بما هما مرأة ورجل بل بما هما إنسان.

لكن إذا كان العلم في فلسفته يهدف إلى العمل فإن التمايز الوظيفي بين المرأة والرجل سوف يقود إلى التمايز في جانب من المعارف التي تتلقاها المرأة عن تلك المعارف التي يتلقاها الرجل، أي أن المرأة والرجل وإن كانا يشتركان في هامش كبير من المعارف لكن هناك معارف تختص بالمرأة كما هناك معارف تختص بالرجل.

وهذا التمايز على مستوى المعارف مبني على التمايز على أساس الوظائف أي أن المرأة تتصدى لجملة من الوظائف والأعمال التي تنسجم مع استعداداتها وفطرتها بينما الرجل يتصدى لتلك الأعمال والوظائف التي تنسجم مع استعداداته وفطرته في تكامل وظيفي بينهما اقتضته الحكمة الإلهية.

إن التمايز الوظيفي بين المجتمعين الذكوري والأنوثي لا يعني أفضلية للمرأة على الرجل أو للرجل على المرأة وإنما يعني توجه كل إنسان للقيام بالوظيفة التي تنسجم مع استعداداته وامكاناته من جهة ومع العمل الذي يكون مورد حاجة وفائدة من جهة أخرى، ولذا لم يكن هذا التمايز موجوداً فقط بين المجتمعين الأنوثي والذكوري بل هو موجود أيضاً في المجتمع الذكوري نفسه كما أيضاً في المجتمع الأنوثي نفسه.

نستطيع أن نلمس في النص الإسلامي توجيهاً واضحاً للمرأة للعناية بقضية الزواج والأمومة والحياة الأسرية بجميع مجالاتها ومفرداتها وإن كان هذا الأمر لا يعني تنكباً للمرأة عن القيام بجملة من الأدوار الأخرى التي

ترتبط بالجانب الاجتماعي والسياسي والتربوي والصحي... كما أن عناية المرأة بالاجتماع الأسري يدخل في صلب العملية الاجتماعية بل هو الأساس فيها.

وهنا ينبغي القول أن كل هذه الأعمال والوظائف التي تقوم بها المرأة فيما يرتبط بالجانب الأسري والبيتي يجب أن تقوم بها بناءً على ثقافة واعية ومعرفة أصيلة وعلم هادف لا أن تتم بشكل ارتجالي وبسيط وغير واعي بعيداً عن فعل العلم والمعرفة.

إذا كنا نعتقد أن للأسرة والحياة الأسرية كل تلك الأهمية وأن موضوع العمل الأسري هو الإنسان بشكل أساس وأن الوظائف الأسرية والبيتية متعددة وهي مطلوبة في معظمها من المرأة بشكل أساس وأن للإسلام رؤيته في العديد من القضايا الأسرية بما لديه من معارف وارشادات وأحكام؛ فمعنى ذلك مطلوبية أن تبادر المؤسسة النسوية للتعليم الإسلامي إلى جعل المعارف الأسرية أولوية في برامجها ومناهجها التعليمية والدراسية بل أن المطلوب أن تتم المبادرة إلى تأسيس مؤسسات تعليمية تسوية متخصصة تعنى فقط بالمعارف الأسرية، وهو ما يسهم في جعل بكل المعارف الأسرية والأخلاقيات الأسرية سهلة المنال بالنسبة إلى شرائح سوية واسعة ترغب في تلقي تلك المعارف وتعتني في نيل الثقافة الأسرية والزوجية والأمومية كما أن تلك المبادرة سوف تكرس تلك الثقافية وتجعل منها أولوية في الوعي الجمعي والثقافة السائدة وهو ما سوف يساعد على تصحيح العديد من المفاهيم الخاطئة وعلى حل العديد من المشاكل والأزمات الاجتماعية والأسرية أن المطلوب تأسيس معاهد تعليمية نسوية تعنى بشؤون الأمومة والأسرة وتعمل على تقديم ثقافة الحياة الزوجية وكل المعارف والعلوم والفنون التي تسهم في بناء أسرة صالحة وحياة زوجية سعيدة حيث أن العديد من تلك المعارف والعلوم هي معارف وعلوم يجب أن تكون موجودة في الرصيد الثقافي للأسرة. إن علوم ومعارف من قبيل فقه الحياة الأسرية

والأخلاق الزوجية والأسرية وتدبير المنزل وإدارته والتربية الصحية والدينية والعقلية وعلم نفس الطفل وعلم النفس التربوي ومعارف تربوية أخرى؛ كلها يجب أن تتدرج في البرامج التعليمية لتلك المعاهد النسوية المتخصصة.

لم يعد من المقبول أن يستمر التقليد الأعمى للمناهج المعتمدة في المعاهد الذكورية مهما كانت الأسباب والمبرات التي تذكر، ولن يكون الحل بتحشيد كم كبير من المواد التعليمية الذي يجمع جملة من المواد الحديثة إلى المواد التقليدية لأن هذا الفعل التجميعي سوف يثقل كاهل الطالبة من جهة ويشوش عليها هدفية العملية التعليمية من جهة أخرى.

إن المطلوب أن يكون القيمون على العملية التعليمية النسوية في الإطار الإسلامي أساس يمتلكون الوعي المطلوب لأهداف العملية التعليمية وفلسفتها ووظيفتها وليس من الصحيح أن يكتفي بمن يمتلك قدرة ما لإدارة تلك العملية في جانبها التقني من دون أن يمتلك الوعي المطلوب لفلسفة العملية التربوية والتعليمية أن التجربة التعليمية النسوية في الوسط الإسلامي قد بلغت عمراً لا بأس به وجدير بها أن تكون على مستوى متقدم من النضج التربوي والتعليمي وهي لذلك تحتاج إلى عملية ترشيد تأخذ بها في النهج الصحيح الذي يهدف إلى اعداد المرأة الصالحة والأم المربية والزوجة الودود.... وذلك من خلال مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه، واعتقد أن النقد الهادف يساعد على ترشيد تلك العملية التعليمية إن كان يمتلك القيمون عليها روح النقد والتغيير والاصلاح.